التعريف بمخطوط " قصيدة في التوحيد" لأحمد البكاي

ط/ عبد الوهاب الهاشمي/ د. بحري أحمد

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

abdelouahab.elhachmi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2017/11/21، تاريخ القبول: 2018/03/26

الملخص:

يتناول هذا المخطوط قصيدة في التوحيد، حيث أثنى فيه المؤلف أحمد البكاي على الحق تبارك وتعالى، وذكر عددا من صفاته ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، و ذكر بعض من سيرته ومدحه، و عبر المؤلف عن مدى حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، وتظهر القيمة العلمية لهذا المخطوط في أسلوب المؤلف الدقيق والمتميز، واستعماله لألفاظ ومصطلحات علمية دقيقة. نحاول من خلال هذا المقال دراسة وتحليل هذا المخطوط، وبيان المكانة العلمية للمخطوط ولمؤلفه وذلك من خلال حياته وسيرته.

الكلمات المفتاحية: المخطوط، التوحيد، أحمد البكاي، المدح، الثناء، الصفات.

Abstract:

In this manuscript, a complimentary poem of the author AHMED ELBEKAY about god blessed and exalted be he is found, mentioning his many qualities and then going straight to our Prophet Mohammed peace be upon him with stating some of his biography with praising him , the author showed how much love he got for our Prophet Mohammed peace be upon him that he described it in this poem .Also in this manuscript a scientific value is shown in a specific and distinguished order with the use of the words and the scientific terms.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي علَّمنا قيمة التوحيد، وعرَّفنا أنه من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه، وعرفنا أنه لا خير فينا، ولا في حياتنا، ولا في أي شأنٍ من شئوننا إلا بأن نكون على توحيد الله عابدين لله وحده لا شريك له، متبعين لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كما قال تبارك وتعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" [1]، اللهم صل على سيدنا محمد الرحمة المهداة والنعمة المسداة، وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

إن البحث في حياة العلماء وسيرهم يجعلنا نكتشف التراث الزاخر الذي تركوه لنا هؤلاء العلماء في مجالات متنوعة، سواء في اللغة أو الفقه أو العقيدة أو التفسير، إلى غير ذلك، وهذا ما يبن مدى تضلعهم وتمكنهم ، ومن هؤلاء الجهابذة العلامة أحمد البكاي بن محمد المختار– رحمه الله –، والذي يعتبر من أبرز العلماء. ويظهر ذلك من خلال ما خلَّف من وراءه من مؤلفات، متمثلة في كتب علمية وقصائد عقائدية، وعلى هذا سنحاول من خلال هاته القراءة السريعة لإحدى مؤلفات أحمد البكاي بن محمد المختار التعرف على ماذا يحتوي هذا المؤلف الذي هو قصيدة في التوحيد.

التعريف بصاحب المخطوط:

ولد أحمد البكاي عام 1217هـ/ 1803م في ضواحي المبروك بأزواد بمالي الحالية، درس على جده ووالده، حفظ القرءان الكريم والحديث وعلومهما، وتشبع باللغة العربية والأدب والشعر والنحو والصرف والتصوف كسابقيه من أفراد أسرته، وتنقل بين ماسينا والهجار وتوات وسكتو، وكان من نوابغ مثقفي ومتصوفة الصحراء الإفريقية.

خلف الشيخ أحمد البكاي أخاه الشيخ المختار الحفيد في مشيخة الزاوية وتقلد زعامة قبيلته الدينية والدنيوية.

[1]. سورة الأنبياء، الآية 25.

انتقل أحمد البكاي من الزاوية الأم بأزواد إلى واستقر بمدينة تمبكت الذائعة الصيت والتي كانت عاصمة ثقافية لبلاد السودان الغربي وأسس زاويته بها، حيث قصده الطلاب والمريدون لتلقينهم العلوم الفقهية واللغة العربية وآدابها والتصوف [2].

أحمد البكاي بين التصوف والسياسة:

لقد كان في منطقة السودان الغربي[3]، جماعات وزعامات سياسية ودينية، ومن بين هاته الزعامات زعامة الأمير أحمد بن أحمد لب الماسني ، والشيخ الحاج عمر الفوتي تال[4]، لكن أحمد البكاي كان جامعا وملمّاً بالدين والسياسة، بحيث أنه وظف الزعامة الدينة من أجل الحصول على الزعامة السياسية في هاته المنطقة من السودان الغربي، ولهذا نجده قام باستمالة قبائل الطوارق إليه[5].هاته الجماعات والزعامات كان بينها خلافات وتحالفات، بحيث تحالف أحمد البكاي مع أحمد بن أحمد لب الماسني ضد الحاج عمر الفوتي تال، و أدت هذه الخلافات والتحالفات إلى حروب بينهما بالقلم والسيف [6].

[2] . حسن الصادقي:أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية،ط(2012م)، ص 29.

[3] . السودان الغربي: يتمثل في حوض السينغال وغامبيا وبوركينافاسو والنيجر الأوسط

[4] . يختلف المؤرخون دائما في ضبط تواريخ الشخصيات البارزة في الأزمنة الغابرة، وهذا المعطى التاريخي لم يشذ عنه الشيخ الحاج عمر الفوتي رضي الله عنه ولكن الثابت انه ولد في أواخر شعبان بين (1798-1797م). : http ://www.tidjaniya.com الموقع الرسمي للطريقة التجانية.

5 . الطوارق هم الذين استوطنوا الصحراء الكبرى في جنوب ليبيا وجنوب الجزائر منذ آلاف السنين، ولا تزال آثارهم باقية إلى يومنا هذا في جبال تاسيليو جبال تادرارات وجبال آهقار.

[6] . حسن الصادقي: المرجع السابق، ص30.

الإسهامات الثقافية لأحمد البكاي:

خلف أحمد البكاي من وراءه مجموعة من المصنفات والمؤلفات المتنوعة في شتى المجالات، وكان بعضها حول الطريقة التيجانية [7] والطريقة القادرية [8]، كما كانت له مراسلات مع زعماء بلاد السودان الغربي وعلماء المغرب، فأحمد البكاي أغنى الخزانة العربية بكتاباته المتنوعة سواء في ميدان الأدب أو التصوف أو الشعر أو السياسة [9].

المخطوط:

هذا المخطوط عبارة عن قصيدة في التوحيد، بحيث بدأ المؤلف أحمد البكاي بالبسملة وبالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهذا شأن العلماء من قبله، وكذلك اقتداءً بالكتاب العزيز، وعملاً بحديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي قال فيه: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع) [10]، ثم عرف بنفسه من أجل توثيق نسبة القصيدة إليه، ثم افتتح قصيدته بالحمد لله والثناء على الله تعالى، عملا بقوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه

[7] . تنسب التيجانية إلى صاحبها الشيخ "أبو العباس احمد بن محمد التيجاني الحسيني" ولد سنة 1737م، بدائرة عين ماضي بولاية الاغواط الجزائرية، لقب بالتيجاني نسبة للقبيلة التي تنتمي لها والدته وأخواله (بنو توجين)، نشأ في بيت صلاح وتقوى ووسط عائلي محافظ، حفظ القرآن الكريم برواية نافع عن أستاذه أبي عبد الله محمد بن حمو التيجاني المضاوي وعمره لم يتعد سبع سنوات، ثم اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية حتى تفرس فيها على يد الأستاذ الخبير والمرشد البصير الشيخ البركة المبروك ابن أبي عافية التيجاني المضاوي. سالم الحبيب التجاني، نبذة عن حياة الشيخ سيدي احمد التجاني، 1999م، ص ص2-3.

[8] . الطريقة القادرية من أوسع الفرق الدينية انتشارا في شمال إفريقيا وفي إفريقية الغربية، ويعود تأسيس الطريقة القادرية في العراق على يد مؤسسها محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صلاح موسى الحساني (1079-1166م) ومن فرقها البكائية والمرغنية والسنوسية وغيرها. فرج محمد فرج إقليم توات في القرنين 18- 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م، ص110.

[9] . حسن الصادقي: المرجع السابق، ص 35

[10] . أخرجه ابن حبان

بالحمد لله فهو أقطع)[11]، وبعد الحمدلة والثناء على الله، صار المؤلف يذكر نعم الله عليه من العطاء والبرِّ ومن الهداية والوفاء والشكر والعفو والغفران، ومن هنا بدأ أحمد البكاي في العقيدة والتوحيد وإقراره بأن لا شريك مع الله سبحانه وتعالى، وذكر صفاته من الغنى والقدرة ، وتجلي المولى على عباده في وقت الفجر بالعفو وبالغفران، وأنه سبحانه يعلم ما تكنُّ النفوس وما تعلن، ويعام خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما في البر والبحر ، ثم أتى المؤلف رحمه الله إلى الأنبياء عليهم السلام فمنهم من كلم الله تكليما كسيدنا موسى عليه السلام، و منهم خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومنهم روح الله سيدنا عيسى عليه السلام، ثم جاء إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وذلك بأنه الشفيع المشفع في يوم المحشر، يقول له المولى تبارك وتعالى ارفع رأسك وسل تعطى وقل يُسمع وأنه بيده لواء الحمد يوم القيامة، ثم ذكر بعض منصفات هذا النبي الكريم الجليلة، وذكر سيرته وأخلاقه من كرم وجود وشجاعة وحلم وأناة، ثم ختم أحمد البكاي قصيدته بذكر مدى حبه وتعلقه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأن حُبَّ النبي عليه الصلاة والسلام ممزوج بلحمه ودمه.

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

قال الشيخ أحمد البكاي بن سيدنا محمد شيخنا سيدنا المختار:

الحمد لله الذي أعطى وبر * ثم هدى ثم وفى ثم شكر
ثم كفى ثم عفا ثم غفر * ليس له شرك ولا منه وزر
ولا سوى إليه منه من مفر * منه المفر وإليه المستقر
له الغنى والعز الأعلى والقدر * يملك لا ملك عليه قد حجر
يقضى ولا يقضى عليه قد قهر * يفعل ما شاء ويمضى ما أمر
إن شاء أعطى وإذا شاء حظر * أو شاء أحلى وإذا شاء أمر

[11] . رواه ابن ماجة

أو شاء أبكى وإذا شاء سر * أو شاء أن ينفع أو إن شاء ضر
يجبر لا يكسر ما كان جبر * وليس من جبر لما كان كسر
يداه مبسوطتان دأبا بالفجر * ينفق ما شاء ببسط لا فتر
ما فيه من ضيق ولا منه ضجر * سخاء ليلا ونهارا ما اقتصر
ما غاض فيض الجود منه ما انحصر * سبحانه من واحد في العز بر
مهيمن في البر واللطف اقتدر * يعلم ما أخفت غيابات الفكر
وما أكنت في هواياها الفطر * وما انطوى في كل سر واستسر
وكلما في كل بحر وبر * وكلما تسقط أوراق الشجر
أحاط علما واقتدرا وائتزر * بالكبرياء وحده فيها بهر
وفي الجلال بسن النور استتر * ومنه الاكرام إلى الخلق استمر
كلم موسى مصطفاه المنتقر * عبدا نجيا خيرة فوق الخير
والشيخ إبراهيم منه قد ظفر * بخله فيها له كل الوطر
وعبده عيسى وجيه ما خطر * مقرب فوق السماوات استقر
صلى على خير نبي من مضر * محمد لسيد سادات البشر
شفيعهم في الحشر إذ أتا في الزمر * وجمع الله البرايا وحشر
وأحضر الخلق جميعا فانحضر * وكورت شمس السماء وانفطر
وانكدر النجم به ثم انتشر * وبرزت نارا جحيم وسقر
وسعرت جهنم ترمى الشرر * وبالنهى ينزوا اهولال من خطر

كل خليل عن خليل فيه فر * وكل خدن عن خدينه نفر
لا سائل منهم بحال أو خبر * حينئذ قام النبي ما اعتذر
مكلما لربه عز وبر * في خلقه يريحه مما قدر
يقوم تحت العرش يدعو فيسر * ثم يجاب فيلبى بالبشر
سل تعطى قل يسمع وان تشفع تبر * مقامك المحمود هذ قد حضر
يشهده في اليوم جن وبشر * وملك من حولهم صف حصر
كم مادح منهم له مما نضر * مما رأى من فضله مما خبر
هو النبي المصطفى هو الابر * هو الابر المجتبى هو الاغر
الهاشمي العربي المختبر * الخير في سر الصبر وفي الكبر
من هاشم ومن مناف في الغرر * ومن قصي ولؤي في السرر
ومن بنى النضر وفهر في الطرر * محمد الاخلاق محمود السير
مسود الفعل مسدد النظر * موفق في الرأي مهدي الأثر
ما جاء شر قط ما هم بِشرّ * ولا غوى قط وقط فجر
ولا هفى قط ولا قط عثر * ولا جفى قط ولا قط هجر
ولا لغى لغوا ولا لغوا اثر * ولا نمى سيئة ولا ذكر
ولم يفه بكذب ولا هذر * ولم يخض في سفه ولا حضر
ولم يرد في باطل ولا صرر * فلم يلابس دنسا ولا كدر

ولم يخالط درنا ولا ودر * فلم يدع من صالح ولم يذر
إلا دعى إلا أتى إلا أمر * ذا شأنه مذ كان من سر الصغر
من سر خمس فإلى سر عشر * إلى بلوغ الحلم والحلم الافر
كأنه كهل وما أبيض الشعر * الى بلوغ با أين للكهل كهذا من ذكر
لما استتم الأربعين واستمر * وفاه جبريل لأمين المعتبر
الرأس في أهل السماء المقتفى * المقتفى فيه المطاع المؤتمر
بنعمة من ربه كبرى كبر * كما أتى موسى وعيسى بالخبر
أسرى به في ليلة حتى عبر * إلى السماء وبالأنبياء مر
فرحبوا وسلموا لما حضر * فبات يسري سحرا خير سحر
إلى مقام المستوى نعم السفر * أوحى إليه ثم ما أوحى أسر
إليه خير السر ما زاغ البصر * وما طغى وما تلهى عن نظر
ثم دنى ثم تدلى في المكر * فكان قاب القوس أو أدنى ممر
ورده من عنده بعد الظفر * مكرما معظما لم يحتقر
ولم يُلَم ولم يُلِم ولم يضر * محملا رسالة منه نشر
لكل ما أنثى وكل ما ذكر * الفرض فيها والحرام مستطر
مفصلا مبينا لمن فكر * وكرم الأخلاق فيها مزدبر
ومحكم الأحكام فيها مختضر * وكل علم وهدى فيها انتشر
لا تنقضي عجائب فيها أخر * عنها نهايات العقول في حصر

وكل طول دونها فيه قصر * أرسله بالوحي ءايات السور
بها تحدى من بدى ومن حضر * فصدى عنه من أبى ومن كفر
وجاءه من أهله خير نفر * من هاجروا منهم ومن منهم نفر(نصر)
منهم وعثمان علي قد هصر * والسعد سعد بن معاذ ما انتكر
في الأوس والخزرج أرباب الظفر * وفي قريش وهو فيهم كالقمر
كالشمس جلى عنه غيم فانسفر * أغر يستسقى به صوب المطر
وهم حواليه نجوم تنتظر * من كل ليث يفرس الليث الأشر
لا يرهب الشر ولا يخشى الشرر * ولا يرى الضراء شيئا والضرر
ويركب الهول إذا الهول كشر * ويفحم الجيش إذ الجيش شجر
مجاهد في دينه مما صبر * لا ضعف في إيمانه ولا خور
ولا طغى في خده ولا صعر * ما سمى خسفا وجهه إلا اكفهر
ولا بغى باغ به إلا انتصر * في كف غضب من الهند ذكر
يقطع في الهام ويمضي في القصر * كالملح يفري حده صلد الحجر
إن صاب بالعظم مضى حتى حفر * صحب نبي خير صحب في الأثر
يؤمهم خير نبي منتظر * له وجبريل أبو بكر وزر
أعقل ذي عقل وأذكاه فكر * أحده فهما وأزكاه نظر
ألب ذي لب إذا قال بهر * وجمع المعنى بلفظ مختصر
كأنه الياقوت أو نظم الدرر * أحسن في الأعين من فيها الحور

وعين في العين منها قد سحر * أعذب من ماء سحاب قد بكر
مثعنجر لاقى جنوبا فانهمر * ذي برد وصنبر في خصر
من سيل يراع ليعلول اير * أحدره منها بلاط فانحدر
إلى بلاط ءاخر اسبطر * عن صخرة زل إلى أخرى فقر
بات عليه برد ريح وسمر * وافاه صديان حرير يوم حر
وكف في الجود نهر في نهر * يعطي نضارا ذهبا إذا زخر
يغني من احتاج إليه وافتقر * لسائل ما قال لا ولا نهر
ولا أبى ولا نبى ولا زجر * في يوم أعطى فوق ألف لنفر
من ابل لا غنم ولا بقر * وغنم وبقر أيضا تجر
وفرس طمرة مع طمر * واعبد مع إماء في خفر
وكم حبى وكم حبى من المرو * ما وابل جوف الفثافيد أغر
كنهور جود رباب فاشمخر * مثعنجر مثعنجر حتى اشجر
قد هزه رعد وبرق فانفجر * فانبعق الودق به ثم اشتكر
يوما بأندى منه كفا وأدر * ولا بأجرى نائلا ولا أجر
وهو شجاع الحرب والبأس أبر * على مبريها إذا البأس اشتطر
إذا القنى لاقى القنى حتى اشتجر * به علي يتقي البأس الأحر
ويتقي به الزبير وعمر * وغيرهم من كل جلد المستمر
ما فر قط وإذا استطرد كر * كالليث ذي اللبوة والأجر أصر**

تكاد عيناه تكونان الجمر يقول ما قامت على ساق الحذر
والتجّت الأبطال في ضنك الوعر * أنا النبي لاكذب أهل الظفر
أنا ابن عبد المطلب شيخ مضر * لو ناهد الدنيا جميعا لجشر
لو غالب الناس جميعا لقدر * وغلب الناس جميعا وظهر
لا يحمل الحقد ولا منه استقر * سعة صدر لم يضيقه حصر
وحلم قلب لم يحرجه ضجر * ولم تؤثر فيه ضراء بضر
من هضب ثهلان ولبنان أقر * ومن صفى رضوى وأرمام أمر
يعفو كثيرا ولو شاء انتصر * لم ينتقم لأشر ولا لشر
إلا لمولاه وكم فيه غفر * وكم عفى من بعد ما كان اظفر
في الورد قد أحلى وأحلى فيالصدر * قد طاب منه الخبر طيبا والخبر
بتسم السن ضحوك ما بسر * طلق المحيا مستهل باليسر
ألذ في الأنفاس منها وأسر * ألذ من أنفاسها فيها الأخر
لا قدر للسكر معها والسكر * افديه بالسمع الذي لي والبصر
وبأبي هو وأمي ما أبر * وحاش لله ما هذا بشر
إن هو إلا ملك مما ندر * مكرم الأخلاق حسان الصور
أحبه حبا شديدا ما نزر * دمي ولحمي وعظامي وشعر
فعنه ما في أبدا من مصطبر * إلا حنين دائم لي وزفر
وعبر في الخد من بعد عبر * يا ليتني كنت لرجلية أتر

أو كنت نعلا لهما دون العفر * أو كنت أرضا تحت نعليه انحفر
أفيهما ليفيا له كل حر * وكل ما في الأرض من بأس وشر
وكل ظرٍّ وحصاة وحجر * وكل شوك وقذاة وقذر
صلى عليه الله ما فاح الزهر * وما دجى ليل بجنح فستر
وما بدى يوم بصبح فسفر * وما سرى نجم وما سرى قمر
ثم سرى في الروح حتى لي قمر * وزاد حتى فاض عني وانتشر
وما هما غيث بودق فهم * وما تغنّى بالأماديح سمر
وسر بالمدح كريم فابتشر * فنال من يمدحه كل الوطر

شرح بعض مفردات المخطوط:

غاض: مأخوذة من يغيض غيضا و مَغَاض ومَغِيضا.

تقول: الماء نزل في الأرض وغاب فيها بمعنى نقص، ومنه قوله تعالى:" وما تغيض الأرحام وما تزداد..." [12]، أي ما تنقص. يقال غاض الكرام، أي: ذهبوا وقلوا [13].

مهيمن: المهيمن اسم من أسماء الله تعالى ومعناه الرقيب المسيطر على كل شيء والحافظ له، قال تعالى:" الملك القدوس السلام المهيمن..." [14].

غيابات: مأخوذة من الغيابة بمعنى هبطة، تقول: وقعوا في غيابة من الأرض أي في منهبط منها، وغيابة كل شيء: قعره منه [15].

[12] . سورة الرعد، الآية 8.
[13] . علي بن هادية:القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 716.
[14] . المرجع نفسه، ص1164.
[15] . ابن منظور: لسان العرب (معاجم اللغة)، المكتبة التراثية، ص 4294

اكفهر: تقول اكفهر الرجل إذا عبَّس، اكفهر النجم إذا بدا وجهه وضوءه في شدة ظلمة الليل [16].

اسبطر: اضطجع وامتد [17].

الفثافيد: بطائن كل شيء من الثياب. فثَّد الثياب درعه بالحرير إذا بطنها [18].

ثهلان: موضع بالبادية، بمعنى جبل معروف، قال امرؤ القيس:" عقاب تدلت من شماريخ ثهلان"[19].

غوى: يغوي غيا، غواية، غاوٍ:الضلال والخيبة[20].

انسفر: أسفر الصبح: أضاء قبل الطلوع، تقول: انسفرت الإبل: إذا ذهبت في الأرض [21].

[16] . ابن منظور: لسان العرب، مج1(أ-ج)، دار الفكر، بيروت- لبنان-، ص 245.
[17] . المرجع نفسه، ص 572.
[18] . المرجع نفسه، مج2(ج- ز)، ص 653.
[19] . المرجع نفسه، مج1(أ-ج)، ص 425
[20] . محمد بن أبي بكر الرازي،مختار الصحاح، المكتبة العصرية – صيدا بيروت -، ص 231
[21] . المرجع نفسه، ص 39.

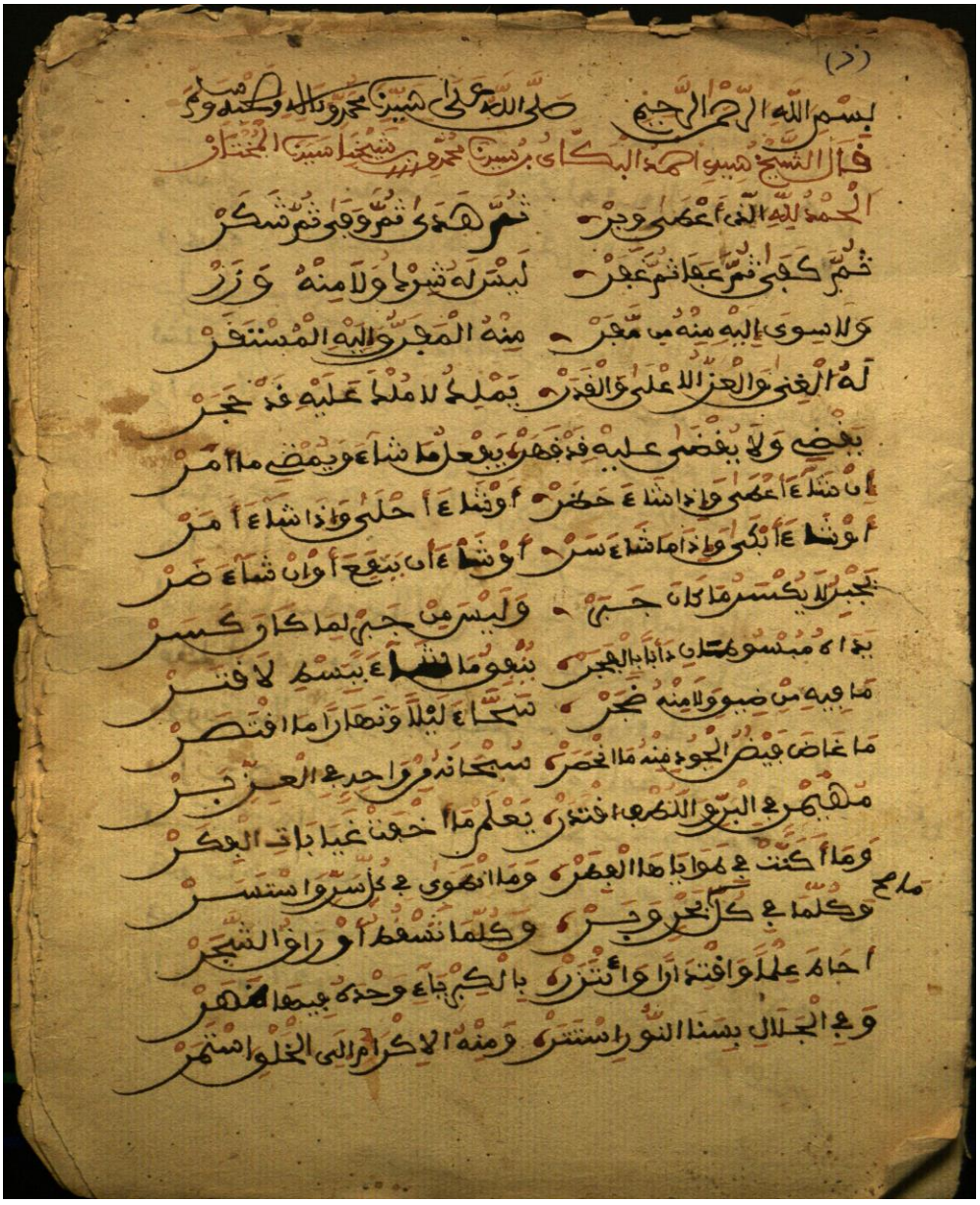

الورقة الأولى من المخطوط

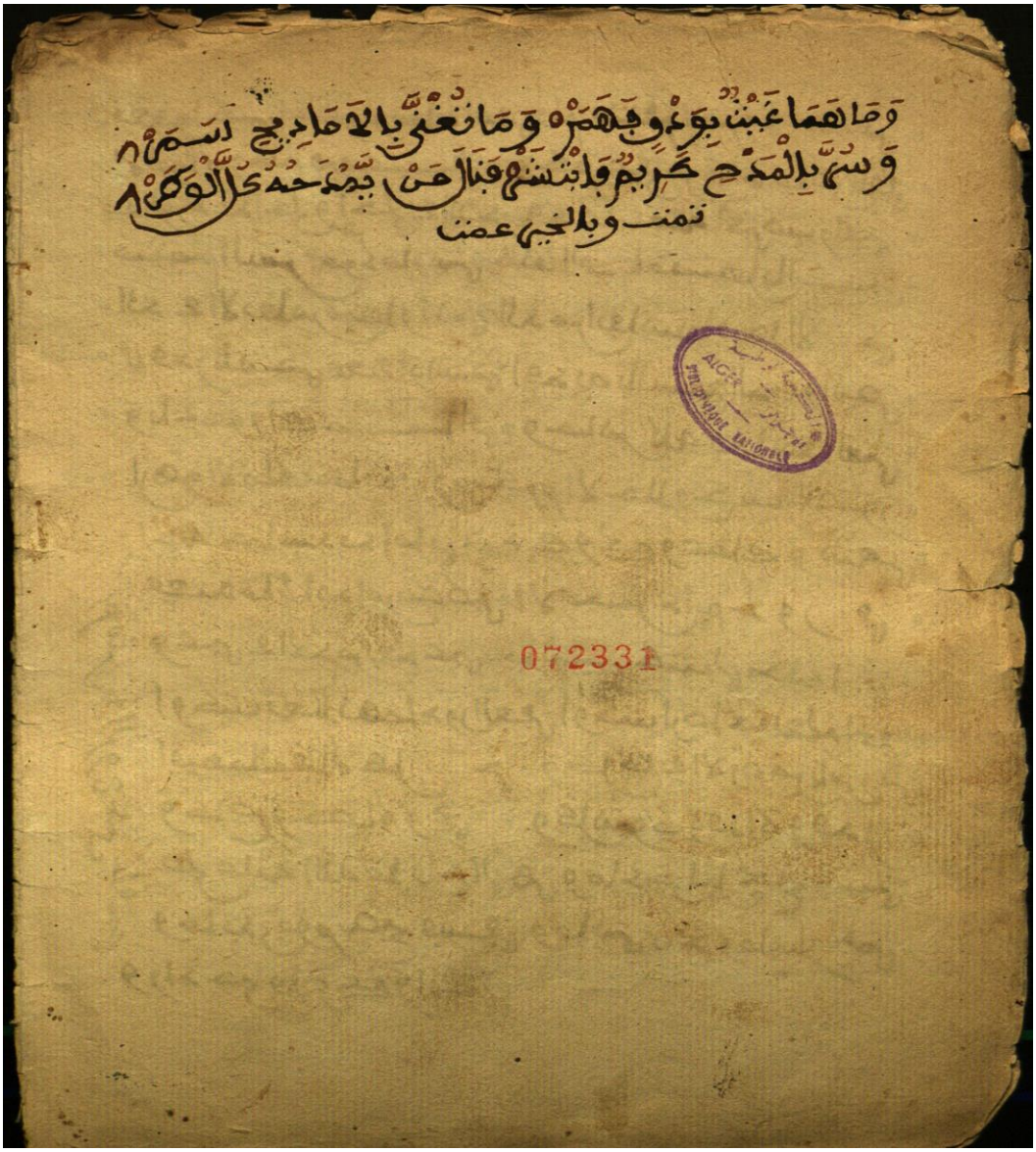

الورقة الأخيرة من المخطوط

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. التجاني سالم الحبيب ، نبذة عن حياة الشيخ سيدي احمد التجاني، 1999م
2. الرازي، محمد بن أبي بكر ،مختار الصحاح، المكتبة العصرية – صيدا بيروت
3. الصادقي حسن، أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، ط(2012م)،
4. فرج محمد فرج، إقليم توات في القرنين 18- 19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977م
5. ابن منظور: لسان العرب (معاجم اللغة)، المكتبة التراثية
6. الموقع الرسمي للطريقة التجانية (1798-1797م). http ://www.tidjaniya.com
7. بن هادية علي: القاموس الجديد للطلاب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،